

العنف المدرسي

تحقيق / شيماء مصطفى المليجي

العنف ضد الأطفال في المدارس أمر خطير جداً ولكن ومع الأسف يمارس في كل مكان بغض النظر عن البلد أو المجتمع أو حتى الفئة الاجتماعية التي ينتمي لها الطفل المعنف.. والمحزن أن تلك الأعمال المؤذية لبدن الطفل تمارس من قبل أناس استأمنهم آباؤهم عليهم وهم المدرسون، وبالطبع تتفاوت انعكاسات العنف على الطفل وفقاً لطبيعة العنف وشدته وتكون العواقب على الأطفال والمجتمع في معظم الأحيان خطيرة وضارة وأحياناً قاتلة.

بمنتهى الوحشية في لحظة تخلى فيها المدرس عن واجبه ودوره في كونه تربيواً قبل أن يكون معلماً اعتدى مدرس شاب على تلميذ صغير في المرحلة الابتدائية وانهاled عليه بالركلات واللكمات حتى أرادته قتيلاً في الحال دون أدنى شفقة أو رحمة والسبب ببساطة أن الولد لم ينجز الواجب. والأغرب أن مدرساً آخر يصاب بلوثة عقلية ويعتدي على فصله بالضرب الجماعي مستخدماً عصا خشبية «عصا مكنسه» فضلاً عن استخدام يديه ورجليه في الاعتداء لتأديب الأولاد الذي وصفوا بالمشاغبين الدائمين في الفصل ليتربوا وراءه خمسة أطفال مصابين إصابات مختلفة مابين كسور وجروح والذي نجا كان به بعض الكدمات غير البسيطة. والمفاجأة الأكثر حزناً

عندما فوجئنا بموت طفلة في المرحلة الابتدائية بسبب خوفها من مدرستها الذي هددها بالضرب بالعصا الخشبية لعدم إتمامها الواجب وبمجرد أن نادى على «الفرش» لإحضار العصا رأتها الطفلة المسكينة وماتت من الرعب وفقدت حياتها والسبب هو المدرس تلك هي الكارثة الحقيقية، وكما يؤكد تقرير منظمة الأمم المتحدة فإن هناك مائة ودولتين من البلدان حظرت العقاب البدني في المدارس ولكن تنفيذ هذا الحظر لا يتم غالباً بشكل جيد، كما تؤثر الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسر على الأفعال العنيفة المحتملة والسلوك العدواني. فضلاً عن أن المدارس تميل إلى التقليل من جدية أعمال العنف فيها والعنف المدرسي كقضية وأن هناك فرقاً بين المدارس الحكومية والخاصة فحين يدفع الأهل الأقساط تكون إدارة المدرسة أكثر تخوفاً من العنف ضد الأطفال.... والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة هل سنترك أولادنا فريسة لهؤلاء المدرسين الذين تخلوا عن دورهم التربوي وانشغلوا بدور الجلاد. هل أصبح كل المدرسين في مجتمعاتنا العربية بهذا السلوك أم أنها مجرد حالات شاذة لا تعبر عن ظاهرة حقيقية!! «الأمن والحياة» تطرح هذه المشكلة على عدد من المتخصصين.



د. إيناس العجرودي:

■ **العنف في المدرسة ضد الأطفال يترك أثراً سلبية على الطفل طوال حياته .. ما يجعله دائم التمرد والعصيان .**

د. رانيا عابدين:

■ **العنف يمكن أن يعطل طاقة التفكير والإبداع لدى الطفل .**

د. سحر صلاح الدين:

■ **العنف المدرسي ظاهرة عالمية .. والعنف قد يكون بدنياً وقد يكون نفسياً .**

د. ليلى عبدالباسط:

■ **الطفل الذي تكبح جماحه القوة .. سيعود إلى مخالفة النظام كلما أتحت له الفرصة .**

بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية حيث أكدت أن هناك مدارس لا تضع في اعتبارها التأثيرات السلبية من جراء العنف ضد الأطفال وتتجاهل أيضاً مانصت عليه قوانين حقوق الطفل من منع للعنف ضده بل إنها تتخذ كطريقة تربوية وعن اقتناع وتظل تمارس التجريم والعزل واستخدام ألفاظ مهينة أمام باقي التلاميذ متناسين أهم شيء تتصف به وهو التربية وتأثير ذلك على نفسية وصحة التلميذ وتكوينه وسلوكه المستقبلي.

وتضيف د. إيناس العجرودي أن العنف في المدرسة ضد الأطفال يترك أثراً كبيراً ومؤثراً على

إذلال وتهكم

يقول سعيد إبراهيم عيسى - مدرس - بالرغم من - أنني أعمل في المهنة نفسها ولكن لا التمس العذر للمدرسين الذين يعتدون بالضرب على تلاميذهم فنحن عندما درسنا في كلية التربية درسنا مناهج ثابتة في الأربع سنوات علمتنا كيفية التربية وعلم النفس التربوي وكيفية التعامل مع جميع الشخصيات والحلول عندما تحدث أمامنا مشكلة.

وعندما يضع المدرس نصب عينيه أن هذا الطفل الذي يتعامل معه هو ابنه أو أخوه الصغير أو قريب له أو من عائلته سوف يدرك أن التصرفات واحدة ولكن العامل يختلف باختلاف المواقف والأحداث.

فالمدرس قادر على أن يجعل التلاميذ يحبونه أو يكرهونه.. يشاركونه في الفصل ويجهدون أو يتجنبونه ويفشلون.

قديماً كنا نعلم أن المدرس هو الذي يجعل التلاميذ يحبون المادة وليس العكس. وما زال هذا القصور قائماً وسيظل.

ومع الأسف إذلال وتهكم وإهانات وشتم وأخرها ضرب حتى الموت هكذا أصبحت الفكرة التي في ذهن كل طفل بل كل ولي أمر يخاف على أولاده من خطر الموت على يد أحد المدرسين.

تمرد دائم

هذا ما تؤكد د. إيناس العجرودي أستاذة علم النفس





لسعادة الأطفال في حياتهم المستقبلية وتضيف قائلة أن اللجوء إلى العنف التربوي وإلى التمسك بالعملية التربوية يعود إلى أسباب اجتماعية ونفسية وثقافية متنوعة وهذه الأسباب منها: الجهل التربوي بتأثير أسلوب العنف يحتل مكان الصدارة بين الأسباب.. أن ما يعزز استخدام الإكراه والعنف في التربية الاعتقاد بأنه الأسلوب الأسهل في ضبط النظام والمحافظة على الهدوء ولا يكلف الكثير من العناد والجهد.

وللأسف الشديد لا يقتصر العنف التربوي على استخدام العنف الجسدي فقط كالضرب والركل وخلافه ولكننا نجد أن بعض التربويين يدركون التأثير السلبي للعقوبة الجسدية فيمتنعون عن استخدامها لكن ذلك لا يمنعهم من استخدام العقاب المعنوي من خلال استخدام الكلمات النابية وعبارات اللوم والتوبيخ بأفزع الألفاظ ذلك ضمن إطار التهكم والسخرية والاستهجان اللاذع.. وتكون بذلك العقوبة في النفس أقوى من العقوبة الجسدية بكثير فتترك بداخل الطفل - الطالب - آثاراً نفسية سيئة تظهر على المدى البعيد وتؤثر على حياته المستقبلية بشكل كبير.

وتؤكد أنه لا يمكن للعنف أن يؤدي إلى نمو طاقة التفكير والإبداع عند الطفل فالقدرة على التفكير لا تنمو إلا في مناخ الحرية لأن الحرية والتفكير أمران لا ينفصلان.

التلميذ طوال حياته صحياً ونفسياً وعاطفياً وجسدياً مما يجعله دائم التمرد والعصيان وتكون النتيجة.

أن يتحول لشخص مشاغب وغير مطيع وتحدث وتكرر مشكلة التسرب من التعليم نتيجة العنف ليخرج لسوق العمل مبكراً ويتعرض للأذى والضرب والعنف الأكبر على يد صاحب العمل.

فيكبر بذلك على العنف ويصبح رجلاً قاسي القلب يستعمل العنف الذي تربى عليه مع زوجته وإخوته وأولاده ويتحول المجتمع كله إلى التعامل بالعنف.

عقوبات

- من جانبها تقول د. رانيا عابدين أستاذة علم النفس التربوي - كلية البنات جامعة عين شمس إن العنف التربوي يمثل سلسلة من العقوبات الجسدية والمعنوية المستخدمة في تربية الأطفال والتي تؤدي بهم إلى حالة من الخوف الشديد والقلق الدائم.. وإلى نوع من العطالة النفسية التي تنعكس سلباً على مستوى تكيفهم الذاتي والاجتماعي.

ويتم العنف التربوي باستخدام الكلمات الجارحة واللجوء إلى سلسلة من مواقف التهكم والسخرية والأحكام السلبية إلى حد إنزال العقوبات الجسدية المبرحة بالطفل والتي من شأنها أن تكون مصدر تعذيب واستلاب كامل



ظاهرة خطيرة

فظاهرة العنف في المدارس ضد الأطفال ظاهرة خطيرة ومنتشرة في كل دول العالم وليس في البلاد العربية فقط وبالتالي يجب التكاتف والتعاون بين كل المؤسسات والمجتمع المدني ولجان الدفاع عن الحريات وحقوق الطفل وذلك من أجل العمل على تطبيق تلك الحقوق ووضع حدود لممارسة أعمال العنف ضد الأطفال ووضع برامج تربوية وتعليمية لتخطي هذه المشكلة مع الأخذ في الاعتبار مراعاة ظروف المعلمين وتهيئتهم لممارسة دورهم التربوي قبل التلقي والتعليم ويجب التأكيد على أن العقاب ليس حلاً لمواصلة الدور المدرسي لأن هناك مدرسين يلجأون أكثر من اللازم إلى هذه السلطة كما يجب تنفيذ نظام معاقبة المعلمين الذين يقومون بأعمال عنف ضد التلاميذ.

ويمكن أن يتم تشكيل لجنة داخل كل مدرسة للتحكم في العنف المدرسي.

كما يجب عقد منتديات للحوار حول العنف المدرسي فضلاً عن أن للإعلام دوراً مهماً في غرس تلك المفاهيم التي تسعى لإعادة العلاقة الودية بين المعلم والتلميذ والتأكيد على أهمية احترام المدرس من قبل التلاميذ.

نوعان

وتقول أ. سحر صلاح الدين أخصائية علم الاجتماع - مديرة مدرسة ثانوية أن ظاهرة العنف المدرسي عالمية وليست مقصورة على بلد معين... وهي ظاهرة معقدة وتدخل فيها عدة عناصر وأسباب منها اجتماعية واقتصادية وسياسية وأسباب عائدة إلى نظام التعليم وأنظمة التحقير (الترهيب - الترغيب) وأنظمة التقييم والبيئة المدرسية إلى جانب الخلفية العائلية للطلبة والطاقت التعليمي والعملية الإدارية للمدارس.

وقسمت العنف إلى نوعين أولهما الإيذاء الجسدي الذي ينجم عنه إصابة أو إعاقة أو موت باستخدام الأيدي أو الأدوات الحادة لتحقيق هدف لا يستطيع المعتدي تحقيقه بالحوار ثم الإيذاء الكلامي وهو استخدام كلمات وألفاظ نابية



تسبب إحباطاً عند الطرف الآخر بحيث تؤدي إلى مشاكل نفسية.

وهناك عنف من المدرس تجاه الطالب وعنف من الطلاب تجاه المدرسين وهو ما يحدث في المرحلتين الإعدادية والثانوية ثم عنف من الطلاب أنفسهم..

تخدير مؤقت

وترى د. ليلي عبدالباسط أستاذة علم النفس بجامعة القاهرة أن التسلط في العملية التربوية يعود إلى أسباب اجتماعية ونفسية وثقافية متنوعة تدفعنا إلى ممارسة ذلك الأسلوب ومنها الجهل التربوي بأبعاد وهذه المسألة أمر حيوي وأساسي.

إن ما يعزز استخدام الإكراه والعنف في التربية هو الاعتقاد بأنه الأسلوب الأسهل في ضبط النظام والمحافظة على الهدوء.

وفي النهاية فإن خروج الطفل عن الأنظمة المدرسية له أسباب يجب أن نبحث عنها في إطار الوسط الذي يعيش فيه التلميذ والأسرة التي ينتمي إليها وتوجد أساليب متعددة ومتنوعة يمكن استخدامها في معالجة هذه الظاهرة أهمها القليل من الاحترام والتفهم يجعلنا قادرين على إحتواء مظاهر العنف.

وفي كل الأحوال فإن العنف والإكراه عملية تخدير مؤقت وليس حلاً جذرياً لأن الطفل الذي كبح جماحه بالقوة سيعود إلى مخالفة النظام كلما سنحت له الفرصة. ■